

كفايات المعلم التدريسية ودورها في تنمية المهارات السلوكية والمعرفية للمتعلم

Teacher's Competencies and their Role in Developing the Behavioral and Cognitive Skills of the Learner

الدكتور: سمير معزوزن*

samir.mazouzen@centre-univ-mila.dz:

جامعة: عبد الحفيظ بو الصوف ميلة (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2020/08/22 تاريخ القبول: 2020/08/29 تاريخ النشر: 2020/10/02

الملخص:

يسعى هذا المقال إلى إبراز دور كفايات المعلم التدريسية في تنمية سلوكيات المتعلم ومهاراته المعرفية. وهذا من منطلق، أن المعلم هو العمود الفقري للعملية التعليمية – التعلمية والعنصر الفاعل فيها. ثم نزيد على ما تقدم، فنقول، أن أي تطوير أو إصلاح في المنظومة التربوية يمر – طبعا- عبر المعلم، إذ لا تربية وتكوين جيل صالح دون معلم ناجح تظهر فيه كفايات خلقية ومعرفية واجتماعية، حيث تتأزر كفايات المعلم معًا في تكوين الجيل الذي يحقق تطلعات المجتمع وتوقعاته.

الكلمات المفتاحية: المعلم؛ المتعلم؛ كفايات؛ مهارات سلوكية؛ مهارات معرفية؛

Abstract:

This article seeks to highlight the role of teacher's competencies in developing learner's behavioural and cognitive skills. This is based on the premise that teacher is the backbone of the educational process - learning and the active element in it. In addition, any development or reform in the educational system passes - of course - through the teacher, as there is no education and formation of a good generation without a successful teacher who possesses moral, cognitive and social competencies. These competencies collaborate together in forming a generation that satisfies the requirements and expectations of a society.

Key words : : Teacher ; Learner; Competencies; Behavioural Skills ; Cognitive Skills.

– مُقدّمة:

من المتعارف عليه عند أهل الاختصاص، أن المنظومة التربوية ككل ترتبط كثيرا بمجموعة من مدخلات ومخرجات العملية التعليمية- التعلمية، ويبقى المعلم أحد أبرز الفاعلين فيها، لما له من أثر في تحسين جودة مخرجات التعليم. فمهمة المعلم في التعليم لم تعد تقتصر فقط على نقل المعارف إلى أذهان المتعلمين، بل دوره أصبح أبعد من ذلك، فهو ليس موظفا فقط، بل مربّي بالدرجة الأولى، يتأثر به التلاميذ بصفة مباشرة ويتفاعلون معه بسرعة كبيرة.

ومن هنا، فالمعلم مطالب منه اليوم – أكثر من أي وقت مضى- أن يساعد المتعلم في بناء معارفه وتهذيب سلوكياته نحو الإيجابية بما يخدم نموه ويزرع الخلق الجميل في قلبه. أضف إلى كل ما سبق ذكره، أن دور المعلم في ضوء تكنولوجيا التعليم الحديثة وما يشهده العالم من التدفق السريع للمعارف والمعلومات أصبح كبيرا، وبذلك لا يقتصر دروه على التعليم الكلاسيكي التقليدي

* المؤلف المرسل

المعروف، بل أصبح من الضروري أن يكيف تعليمه مع الوسائط التكنولوجية الحديثة بما يخدم حاجات المتعلمين ويعدل في سلوكياتهم ومعارفهم. ومن هنا، أصبح ضروريا إعادة النظر في تكوين المعلم معرفيا وتربويا مع التكنولوجيا الحديثة التي يشهدها العالم في المعارف ووسائط التدريس.

وبالنظر إلى كل المسوغات السابقة، يروم مقالنا هذا الإجابة عن مجموعة من التساؤلات نجملها في النقاط الآتية: ما هي أهم الكفايات التي يجب أن تتوافر في المعلم الناجح في ضوء متطلبات التربية الحديثة والمعاصرة؟ ما هي أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها؟ فيم تتجلى تأثيرات كفايات المعلم على المتعلم؟. تلکم أهم التّساؤلات التي نسعى للإجابة عنها في هذا المقال.

2 - تفاعلات عناصر العملية التعليمية:

2-1 - المعلم (Enseignant): وأخال نفسي بداية صائبا إن قلت أن المعلم هو العمود الفقري والرئة التي تنفس بها العملية التعليمية - التعليمية، باعتباره الركيزة الأساسية في نجاح التعليم ككل. وقد عرف المعلم "على أنه ذلك الفرد المؤهل الذي يتم اختياره من قبل المجتمع، ليتولى عملية تربية الأبناء وتزويدهم بالمعارف والخبرات التي أعدت من قبل مختصين لتحقيق أهداف فلسفة التربية لذلك المجتمع، والمعلم كأى فرد من أفراد المجتمع يحمل أعباء كثيرة، ومن واجب المجتمع أن يساعد في تخفيف هذه الأعباء بالقدر المناسب"¹. ورغم التحول الذي عرفه دور المعلم من مالك للمعرفة ومسيطر وسباق ومتفوق إلى موجه ومرشد للمتعلم ومساعد على التعلّم، إلا أن نجاح المعلم في أداء هذه المهمة متوقف إلى حد بعيد على كفاءته العلمية ومواصفات جسمية وأخلاقية واجتماعية يجب أن تتوفر فيه.

وقد قال الغزالي مبيّنا صفات المعلم المرشد: "أن يكون عاملاً بعلمه، فلا يكذب قوله فعله؛ لأنّ العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد، وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تناولوه فإنّه سمّ مهلك سخر الناس به واتّهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه...ومثل

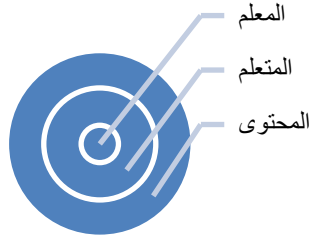
العالم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود، فكيف ينقش الطين بما لا نقش فيه، ومتى استوى الظل والعود أعوج"².

2-2 - المتعلم (Apprenant): ويعدّ هو أيضاً ركيزة أساسية في العملية التعليمية - التعلّمية فهو في تطلع وسعي دائم ومتجدد لاكتساب الخبرات والمعارف والمهارات والتجارب لتطوير وتنمية قدراته اللغوية والمعرفية، ولن يكون له ذلك إلاّ من خلال الدافعية والانتباه والنضج والاستعداد الذي يبديه للتعلّم. ولهذا تسعى التعلّمية أن تحيط بالمتعلّم أكثر من خلال " ما يحتويه من رغبات وحوافز وقدرات وصعوبات وتصورات وانتظارات، ومن حيث التقدم في امتلاك إستراتيجيات تعلم، ومنهجيات توظيف لما يتم تعلمه في الأوضاع الاجتماعية والحياتية"³.

2-3 - المحتوى (Contenu): يتمثل المحتوى في جملة من المعارف العلمية والخبرات والتجارب التي يتلقاها المتعلم ويتعلمها من البرنامج المقرر. والذي يجب أن يستجيب لاحتياجاته ورغباته

وميولاته وقدراته وخصائصه العمرية. ومن هنا، وجب علينا أن نحرص كل الحرص على انتقاء مادة تعليمية تخدم الأغراض التبليغية التواصلية التي يحتاج إليها المتعلم في حياته الاجتماعية، فليس كل ما في اللغة ضروريًا للتعليم. وفي هذا السياق يقول الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح: "لا يحتاج المتعلم إلى كل ما هو ثابت في اللغة للتعبير عن أغراضه، بل تكفيه الألفاظ التي تدل على المفاهيم العادية وبعض المفاهيم العلمية والفنية أو الحضارية ما تقتضيه الحياة المعاصرة"⁴

ومن باب التوضيح، يجدر بنا أن ننوه بالعلاقة القائمة بين المعلم والمتعلم والمحتوى التي تشكل ثالوثًا يمثل "هيكلًا عامًا لوضعية جد معقدة، يمكن التمثيل لها كما يلي:



مخطط توضيحي يوضح تفاعل عناصر العملية التعليمية

حيث تشير الأسهم إلى تعدد التداخلات في كل قطب من الأقطاب الثلاثة، لأنها تشتغل كليًا وبشكل مرتبط فلا يمكن الفصل بينها كيفما كانت الوضعية الديدانكتيكية موضوع التحليل، فإذا أخذنا بعين الاعتبار المعرفة كمثال فلا يمكن عزلها دون أن نأخذ بعين الاعتبار القطبين الآخرين؛ أي معرفة المدرس ومعلم المتعلم"⁵.

3- صفات المعلم:

وتجدر الإشارة - ههنا- أن وجهات نظر أهل الاختصاص تتباين حول ضبط الصفات التي يجب أن تتوفر في المعلم إذ يرى " فيليب جاكسون" (Philippe Jackson) أن المعلم هو " صانع قرار، يقيم طلبته ويتفهمهم، قادرا على صياغة المادة الدراسية وتشكيلها، يسهل على الطلبة استيعابها، يعرف ماذا يعمل ومتى يعمل"⁶.

ومن هذا التعريف، نستخلص أن المعلم هو عصب العملية التعليمية، وهو ملزم أن يتحصل على الكفاية العلمية التي تؤهله لمزاولة مهنة التعليم بما يسمح بتنمية قدرات المتعلم المعرفية وتطويرها، بالإضافة إلى ضرورة تكوينه البيداغوجي من خلال معرفة خصائص الفئة العمرية التي يدرسها وميولاتها واتجاهاتها وقدراتها العقلية والمعرفية، وبذلك فقط يمكنه مشاركة التلاميذ في العمل وتوجيههم وإرشادهم. وفيما يلي سنلخص صفات المعلم التعليمية:

3- 1- صفات خلقية:

مما يجدر التنويه به في هذا السياق، أنَّ المعلم صاحب رسالة عظيمة يشعر بعظمة هذه الرسالة ويعتز بها ويحافظ على شرف مهنة التعليم ويدافع عنها. والمعلم هو شريك التربية والتنشئة يتقاسم

هذا الدور مع الوالدين. وعليه فالعلاقة بين المعلم والتلاميذ هي علاقة الأب بأبنائه تقوم أساساً على المساواة بينهم وتقويم أدائهم وتعديل سلوكياتهم والمودة والبر بهم .

وغني عن البيان، أنَّ المعلم الناجح هو المعلم الذي تتوفر فيه الأخلاق الحميدة والحسنة التي ترفع من مقامه وشأنه مما يجعل التلاميذ يقتفون أثره ويقلدون سلوكياته. ومن باب التمثيل لا التفصيل في الشرح والتحليل، يمكننا أن نسوق الكثير من الأمثلة في هذا السياق: "عندما انتصرت ألمانيا في الحرب السبعينية، قال فيلسوفهم المشهور نيتشه: "لقد انتصر المعلم الألماني، ولم يقل الفرنسيين: "إن التربية الفرنسية متخلفة. وعندما سبق الروس الأمريكيان في غزو الفضاء بإطلاق صاروخهم سبوتني الأول، قال أحد الأمريكيين: "ماذا دهى نظامنا التربوي والتعليمي"⁷.

بل إننا بعد الذي سبق ذكره، يجب على المعلم أن يبذل كل جهده في تربية تلاميذه وتعليمهم وتحبيبهم في المعرفة والرفق بهم. ففي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخل عليه رهط من اليهود، فقالوا: "السام عليكم" و"السام هو الموت" قالت عائشة: "ففهمتها، فقلت: "وعليكم السام واللعنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله. قالت عائشة: "يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد قلت وعليكم". (صحيح البخاري).

3-2 - صفات شخصية وجسمية ونفسية:

ولا نغالي إذا قلنا، أن المعلم شخصية مؤثرة بشكل كبير في المتعلم أكثر من تأثير الأب والأم عليه. والمعلم تقع على عاتقه مسؤولية كبيرة تتمثل في تعديل سلوكيات المتعلم وتنمية معارفه، مما أوجب على هذه الشخصية أن تتصف بمجموعة من المواصفات "فالمظهر الحسن يعطي قوة الشخصية والهيبة، ويفرض احترام التلاميذ، لذلك ينبغي للمعلم أن يكون ذا مظهر جذاب، حيث إن المظهر وشخصية المعلم وهندامه تؤثر جميعها تأثيراً فعالاً في نفسية التلاميذ وتجعلهم يقتدون به، ويتخذونه مثلاً أعلى في مظهرهم، وهندامهم وشخصيتهم"⁸.

وفي هذا الصدد، يجب أن يتمتع المعلم بصحة جيدة وسليماً بدنياً، وأن تكون حواسه سليمة، يحرص يومياً على نظافة هندامه، ويظهر دائماً في مظهر حسن لأنه على مرأى التلاميذ ويقتدون به حتى في لباسه. وأن يكون بشخصية هادئة ومترنة ويتقبل الآخرين بحركاتهم وتصرفاتهم وبصدر رحب، خاصة إذا علمنا أنه يتعامل مع عقليات وذهنيات مختلفة في التفكير والتصرفات والسلوكيات. فالتلاميذ رغم صغر عمرهم إلا أنهم يعرفون كل حركة يقوم بها المعلم، ومغزى كل عمل يقوم به، وإن كانوا يظهرون الجهل والسذاجة في أغلب الأحيان"⁹.

3-3 - صفات معرفية:

ولابد من التذكير - ههنا- أن مهنة التعليم تحتاج من المعلم ثقافة واسعة، حيث كلما زاد اطلاعه على مختلف المستجدات المعرفية امتلك كفاءة تسمح له بالتحكم في التلاميذ بشكل جيد

ومعاملتهم معاملة جيدة. فالمعلم الذي يلم بمادته إلماما جيدا ينعكس أثر ذلك على شخصيته وأسلوبه في التدريس. فالتمكن من المادة يكون أقدر على توضيح المادة الدراسية وتسهيل فهمها واستيعابها من قبل المتعلمين، وهو أقدر على مواجهة المواقف الطارئة التي تحدث في القسم، حيث الرد على أسئلة المتعلمين وإدارة النقاش وإشباع فهم المتعلمين للمادة¹⁰.

ومما لا شك فيه، أنه بحكم ما يعرفه العالم من تقدم معرفي على مختلف الأصعدة، على المعلم أن يعيش هذا التطور بالإطلاع الدائم على آخر المعارف والمستجدات العلمية الحديثة. خاصة إذا علمنا أن العالم اليوم أصبح قرية صغيرة والعالم يشهد يوميا تطورات معرفية وتكنولوجية جديدة. وعليه، وجب على المعلم أن يقبل على طلب العلم من خلال القراءة المستمرة في مجال تخصصه، ويحضر المحاضرات والندوات ويشارك في الأيام الدراسية التي تنظمها مديريات التربية وهذا لا شك سينعكس إيجابيا على تلاميذه، فلا يجب أن ينقطع المعلم على طلب العلم¹¹.

وفي هذا المسار، تتجلى لنا أهمية التكوين البيداغوجي للمعلم، والتي تركز على جملة من المبادئ الأساسية التي تخص عملية التدريس وحسن إدارة القسم والإطلاع على مختلف طرائق التدريس الحديثة. فامتلاك المعلم لخاصية التمكن من المادة المدروسة، ويظهر ذلك في أخذه لعقل المتعلم من المجهول إلى المعلوم، من الصعب إلى السهل، وذلك بتوضيح كل نقطة يتكون منها الدرس مع مراعاة التقيد والتدرج في العمليات التطبيقية ببطء ودقة¹².

ويمكننا في هذا السياق، أن نسوق تجربة اليابان في تكوين المعلم وإعداده، حيث طرح أحد الصحفيين سؤالا على إمبراطور اليابان السابق، جاء فيه: "لم يمر على تدمير هيروشيما وناغازاكي سوى عشرين عاما إلا أن منتجاتكم الإلكترونية غزت العالم برمته، ما الذي يقف وراء هذا التقدم التكنولوجي المذهل؟". فكان رده الذي جرى على الألسن جريان الأمثال "إنَّه المعلم، فقد منحناه سلطة القاضي وهيبة العسكري وراتب الوزير"¹³. ويمكننا إجمال توضيح صفات المعلم وفق المخطط التوضيحي الآتي:



مخطط توضيحي يوضح صفات المعلم

4 - كفايات المعلم التدريسية:

مما لا شك فيه، أن اصلاح أي منظومة تربوية يبدأ أولا بإعداد المعلمين وتكوينهم باستمرار وتمكينهم من الكفايات اللازمة للارتقاء بالعملية التعليمية التعلمية. خصوصا أننا في وقتنا الحالي

" نجد بعض المدرسين يقفون حجر عثرة أمام كل تغيير تنشده النظريات التربوية المجربة. فيحكم تكوينه العتيق، نجدهم يكونون اتجاهات سلبية نحو الأفكار الأصيلة الجديدة، ومن ثمة تبدو لهم تلك النظريات طوباوية¹⁴". وفيما يلي نذكر الكفايات التي يجب أن تتوفر في المعلم:

4 - 1 - كفاية التخطيط:

إنَّ التخطيط هو " عبارة عن مجموعة من الطرائق والتصاميم والمناهج والأساليب والتدابير التي نلتجئ إليها من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف والغايات على المستوى البعيد والمستوى المتوسط والمستوى القريب¹⁵". فكفاءة التخطيط تساعد المعلم على صياغة أهدافه التعليمية بشكل إجرائي عملي، وتصنيف الأهداف إلى أهداف معرفية ومهارية ووجدانية، وتحديد المحتوى المعرفي لكل هدف من الأهداف التربوية.

وبناء على ما سبق ذكره، فالتخطيط يساعد المعلم على رسم مجموعة من الأهداف والكفاءات الإجرائية القياسية. وبذلك، يطرح المعلم أسئلة ثلاثة على النحو التالي: ماذا سأقوم؟ كيف سأفعل؟ كيف سأقوم بذلك الفعل قبل فعله؟¹⁶. ومن هنا، وجب على المعلم التخطيط لوضعيات تعليمية تعلمية متنوعة وإحيائها وتقويمها على أن تتناسب مع تطلعات المتعلم واهتماماته ومستوى نموه ونضجه الفكري والانفعالي ونظرتة إلى المعرفة وموقفه من العلم¹⁷. وأن يتوقع مختلف الأسئلة التي يمكن أن تطرح عليه من قبل التلاميذ، خصوصًا إذا كانت الأسئلة لا يستطيع الإجابة عليها فورًا. فإما أن يشجع المعلم هذه الملكة فتتطور بشكل طبيعي أو يعطلها بتعليمات قمعية من نوع لا تسأل! ليس هذا من شأنك! اسكت ما زلت صغيرا!... الخ. إن السؤال إلى حد الميتافيزيقا هو طبيعة إنسانية؛ أي فطرة فطر عليها الإنسان، وهذا يتبين أن المحرك الأساسي إلى المعرفة هو طاقة ذاتية نابعة من الطفل نفسه¹⁸.

4 - 2 - كفاية التنفيذ:

يجدر بنا في البداية التنويه بأن التنفيذ الديدانكي هو " بناء الدرس في شكل وضعيات ديدانكية وإدماجية حسب مقاطع فضائية وزمانية معينة في ضوء بيداغوجيا الكفايات والإدماج، بالتركيز على مجموعة من الأنشطة التي يقوم بها المعلم والمتعلم معا، بتوظيف طرائق ومؤشرات معينة في التقويم والمعالجة¹⁹".

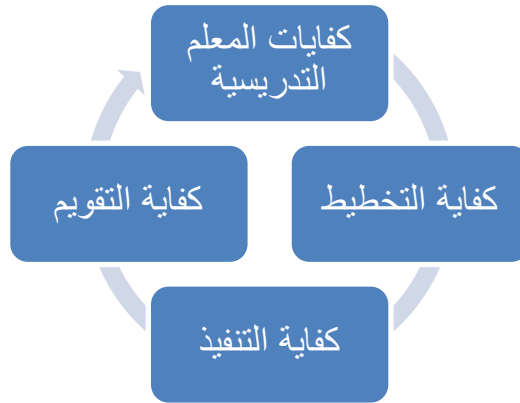
إنَّ ما يمكن الإشارة إليه، أنَّ للتنفيذ الديدانكي أهمية كبرى، وتتمثل هذه الأهمية الإستراتيجية في عقلنة العملية التعليمية- التعلمية، وربط التخطيط بالتنفيذ والتقويم، وتحويل التمثيلات المجردة إلى مخططات عملية سلوكية، وأجراً الكفايات والأهداف المسطرة تطبيقاً وتنفيذاً. كما يعد التنفيذ آلية ضرورية لتحقيق الجودة الكمية والكيفية²⁰.

4 - 3 - كفاية التقويم:

غني عن البيان، أن مع تغير النظرة إلى العملية التعليمية، ومع تبدل أدوار كل من المعلم والمتعلم فيها، غدا لازماً تغيير النظرة إلى التقويم وإلى دوره في عملية التعلم. فبعد أن كان التقويم تقويماً

تقريراً قائماً على إصدار الأحكام وإعطاء الشهادات وتقرير الترفع أو عدمه، أصبح الآن يشكل محطة علاجية من محطات التعلم بالإضافة إلى أدواره الأخرى²¹.

وينصب التقويم على مدى تحكم المتعلم في مهارة ما، وتحديد درجة التحكم والإنقان، وليس المهم هو تقويم المعارف، بل تقويم الكفايات والقدرات المستضمنة لدى المتعلم. بمعنى التركيز على الكيف وليس الكم؛ أي تقويم مدى تحكم المتعلم في مهارات اكتساب الموارد، وحسن توظيفها. ومن ثم، فالهدف من بيداغوجيا الكفايات هو إعطاء معنى للتعليمات، مع تحويل المضامين والمحتويات إلى وضعيات ومشاكل مستعصية ومعقدة ومتنوعة ومركبة وجديدة²². وسنقدم المخطط التوضيحي الآتي الذي يجمع كل هذه الكفايات مجتمعة:



مخطط توضيحي يبين كفايات المعلم التدريسية

5 - كفايات المعلم وتأثيرها على مهارات المتعلم السلوكية والمعرفية:

لقد غدا مقراً، أنّ المعلم الناجح هو الذي يسعى جاهداً إلى تعديل سلوكيات المتعلمين وتنمية مهاراتهم وقدراتهم ومعرفة حاجاتهم واتجاهاتهم وطريقة تفكيرهم وتعلمهم، فهو مرشدهم إلى المعرفة، وموجههم إلى تجديد تعلماتهم باستمرار.

5-1 - تأثيرها على مهارات المتعلم السلوكية:

5-1-1 - تعديل سلوكيات المتعلمين نحو الإيجابية:

تمثل كفاية المعلم حجر الأساس وميزان قياس مصداقية المعلم وحسن سلوكه، ما يجعل التلميذ يقتدي به ويتمثل سلوكاته، وتعدل سلوكاته نحو الإيجابية. فقد دلت تجارب الدراسات الحديثة في الميدان التربوي سرعة تقليد المتعلم وممارسته لما يراه من أفعال تصدر من معلمه، وسرعة نسيانه كل ما يسمعه منه. وعليه، وجب على المعلم أن يغرس كل السلوكات الإيجابية في المتعلم، ولا يغرس فيه اليأس والفشل بتصرفاته وسلوكاته التي تشجع على الفشل والإكراه. ويمكننا في هذا الإطار، أن نقدم مثالا يوضح كل ما سبق ذكره، عن العالم توماس إديسون الذي طرد من المدرسة متهما بالغباء والتخلف، إلا أن أمه شجعتة حتى صار له أكبر عدد

من الاختراعات، وكان يقول: إن أُمي هي التي صنعتني لأنها كانت تحترمني وتثق بي، أشعرتني أنني أهم شخص في الوجود، فأصبح وجودي ضروريا من أجلها.

ومن هنا، فالمتعلم لا يتعلم بشغف إلا إذا أحب ما يتعلمه، ومن أين يأتيه هذا الشغف إذا لم يزرعه معلمه في قلبه ووجدانه، وإذا لم يمارسه قبلا على ذاته؟²³. حيث بينت دراسات علم النفس التربوي أن القبول المعرفي أو رفض التعلم لدى التلاميذ ناتج في الأساس عن الانسداد العاطفي بين المعلم والمتعلم في مراحل التعلم الأولى.

وتجدر الإشارة-ههنا- أن المتعلم تتعدل سلوكياته وفق كلمات الشكر والثناء التي يقولها المعلم له، ما يجعله دائما يبحث عن السلوكيات الإيجابية التي تحببه في درس المعلم وتجعله يطبقها فعلاً داخل المؤسسة التعليمية وخارجها. وكفاية المعلم الاجتماعية وتقدير المتعلم واحترامه يشعره بالاحترام والتقدير بين زملائه التلاميذ ما يساعده بالتصرف بإيجابية ويقوي روح المسؤولية لديه وثقته بنفسه. وقد أكدت الدراسات التي أجريت في هذا السياق، أن المعلم الذي يشكر المتعلم ويثني عليه، ويظهر الاهتمام به يحقق نتائج أفضل في التعليم من المعلمين الذين لا يمارسون هذا الفعل.

5- 1- 2- زيادة دافعية المتعلم للتعلم:

إن ما يمكن الإشارة إليه - ههنا- أن كفايات المعلم تؤدي دورا كبيرا في زيادة دافعية المتعلم للتعلم، حيث علاقة المودة والرحمة والاطمئنان الذي يشعر به المتعلم نحو المعلم تزيد من كل أشكال التعزيز لديه وتجعله يقبل على المعرفة ويتفاعل مع المعلم ويشارك إيجابيا. وعلى المعلم أن يتعرف على تلاميذه ويشاركهم في المشاكل والأحزان، ويعمل على كسب ثقة المجتمع المدني، ويحترم ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم بتجنب إصدار الأحكام والسلوكيات التي يستهجنونها ويشاركهم في حل المشكلات التي تعترضهم²⁴.

أضف إلى كل ما سبق ذكره، يجب أن يقتنع المعلم بعدم جدوى العقوبة النفسية أو المادية بسبب تعثراتهم. إذ المبالغة في الضرب التي نراها عند بعض المعلمين تؤثر بطريقة سلبية في نفسية المتعلم، ما يجعله يعتمد الكذب النفاق والمكر. فالمتعلم خوفاً من عقاب معلمه يلجأ إلى الكذب والخديعة نظراً لعدم شعوره بالراحة والاطمئنان من معلمه، بذلك يؤدي العقاب إلى نتائج وخيمة على العملية التعليمية- التعلمية ككل.

ونزيد على ما تقدم، فنقول، أن نتائج السلبية لن تزول بتجاوز المتعلم مرحلة الطفولة، بل آثاره تستمر وتتواصل معه إلى المراحل التي تلي مرحلة الطفولة. وفي سياق الحديث عن عدم الشدة على المتعلمين يقول ابن خلدون: "ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطاً به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً"²⁵.

5-1-3 - تفاعل التلاميذ وزيادة حركتهم ونشاطهم مع المعلم داخل القسم:

إن إنصات المعلم وسماعه للتلاميذ داخل القسم والتحاور معهم وتتبع أنشطتهم وسيرورات تعلمهم وتصحيح أخطائهم وتوفير كل شروط المادية والنفسية داخل القسم يزيد من تفاعل التلاميذ مع المعلم وحركتهم ونشاطهم. ومن وسائل زيادة تفاعل المتعلم داخل القسم ايقاظ همة المتعلم عن طريق لغز معرفي يستفز شعوره ويثير شهيته ويشترط في هذا اللغز - وضعية مشكلة - أن يكون مفهوما وقابلا للتجاوز، وكذا استحضار تمثلاته حول موضوع التعلم وكل وسيلة مادية أو سمعية أو بصرية تثير فضوله وانتباهه وتشده إلى الموضوع²⁶.

ولاغرو من القول، أنَّ المدرسة التربوية الكلاسيكية الجزائرية حرصت كل الحرص على تكوين المعلم وتزويده بكل وسائل القمع والتسلط الذي قتل في المتعلم كل روح المبادرة والمشاركة الإيجابية والإبداع، وبـل أبعد من ذلك - إن لم نكن مبالغين في ذلك - ظلت تعلماته حبيسة ذاته وجدران المدرسة التي يدرس فيها.

وغني عن البيان، أنه إذا أردنا زيادة تفاعل المتعلم ونشاطه داخل القسم، علينا - نحن كمعلمين - أن نكيف كفاياتنا التدريسية مع متغيرات ومستجدات النظم التربوية الحديثة التي يشهدها العالم؛ وذلك من خلال التقليل من تدخلاتنا في العملية التعليمية - التعلمية، وإعطاء فرصة أكبر للمتعليم حتى يظهر قدراته ومهاراته اللغوية، وتبادل الحوار والنقاش معه عن المواضيع التي تهمة، ومنحه الحرية للتعبير عن أفكاره وآرائه. وبهذه الطريقة يمكننا أن نبعث في المتعلم الهمة والعزم وروح النشاط والحركة.

5-1-4 - تعزيز السلوك:

وتجدر الإشارة -هنا- أن المعلم الناجح في التدريس هو الذي يتوفر على كفايات تدريسية التي تؤهله إلى حمل رسالة التعليم النبيلة بالإطلاع على ما استجد من طرائق ونظم تربوية حديثة في مجال اختصاصه. ومن هنا، تساعد هذه الكفاية في تعزيز السلوكات الإيجابية في المتعلم، وخاصة إذا تم تكييف كفايات المعلم التدريسية مع استخدام المعزز الإيجابي المناسب الذي يستجيب لخصائص المتعلم العمرية وميولاته ورغباته والموقف التعليمي الذي هو فيه.

وبناء على ما سبق ذكره، ومن باب التمثيل، يمكننا أن نقدم المثال التوضيحي الذي يوضح مبدأ التعزيز بعملية الثواب والعقاب داخل القسم، والتي من خلال هذه العملية يمكن للمعلم تحقيق أهداف الدرس. وللإشارة فقط فالمقصود من عملية الثواب والعقاب هو تعزيز سلوكات المتعلم بالإيجاب أو السلب. ومن التعزيز الإيجابي نذكر: إجابة المتعلم عن سؤال طرح في القسم، فيوجه له المعلم كل عبارات الشكر (أحسن، جيد، جيد جدا، رائع، مدهش جميل...). وهذه من أشكال التعزيز اللفظية التي تعزز رغبة المتعلم في التعلم وتخلق روح الإبداع لديه. والعقاب الذي يحمل عبارات عدم الرضى من مثل (لم تصب في الإجابة، ضعيف، دون المتوسط، وعدم حصول المتعلم على علامة جيدة في الفرض والامتحان...).

ومما لاشك فيه، أن الدراسات التي أجريت في هذا السياق أوضحت تؤكد على أن التعزيز الذي يستخدمه المعلم مع المتعلم يشعر المتعلم بالراحة والسعادة الكبيرة، مما يدفعه إلى تعزيز سلوكاته التعليمية، ويجتهد ويثابر على النجاح وهذا ما يمنح له شعورا داخليا عن مدى تقدير المعلم وتثمينه للمجهودات التي قام بها.

5-2- تأثيرها على مهارات المتعلم المعرفية:

5-3- تمثل المعارف:

غني عن البيان، أن المعلم إذا كان نموذجاً يحتذى به من قبل التلاميذ، وكان منفثاً عليهم يقبل النقد والنصيحة ويتسامح ويتحاور معهم باستمرار، فإن المتعلم سيتمثل المعارف التي يقدمها له المعلم ويجسدها فعليا في سلوكاته.

وللإشارة فقط، فالمقصود بالتمثيلات (Représentations) هي: "تلك المنظومة المعرفية التي تسمح للفرد بتفسير الظواهر ومواجهة المشاكل التي يصطدم بها الفرد في محيطه، ونعني بالتمثيلات - ههنا- الكيفية التي يوظف بها الفرد معرفته السابقة لمواجهة مشكل معين في وضعية معينة"²⁷.

5-2-2- جذب انتباه المتعلم :

غني عن البيان، أن كفاءة المعلم التدريسية تؤدي دورا كبيرا في جذب انتباه المتعلم إلى المادة التعليمية المقدمة من خلال تنويعه في طرائق وأساليب التدريس بما يستجيب للخصائص العمرية للمتعلم وحاجاته ورغباته وميولاته. وهو ما يضمن اندماج المتعلم مع الدرس الذي يقدمه المعلم في القسم. ثم نزيد على ما تقدم، فنقول، أن انتباه المتعلم يعتمد على مجموعة من الإستراتيجيات التدريسية التي تعتمد على التهيئة التوجيهية التي نستعملها لتوجيه وجذب انتباه المتعلم نحو الدرس المقدم.

5-2-3- زيادة التفكير عند المتعلم:

إن كفايات المعلم التدريسية تؤثر بطريقة أو أخرى على تطوير إستراتيجيات التفكير لدى المتعلم التي تساعد على مواجهة وضعيات المشكلة التي تصادفه في حياته. ومن هنا، بحكم تكوين المعلم في بيداغوجيات التدريس الحديثة نجده يكون اتجاه إيجابي نحو نمط تفكير المتعلم، فتجده لا يقلق ولا ينزعج من كثرة تساؤلات المتعلم التي قد تذهب إلى البعد الميتافيزيقي في الطرح. وهذا ما يؤدي بالمتعلم إلى توسع أفقه الفكري في التفكير ونماء دافعه إلى التعلم.

5-3-4- زيادة مكتسبات المتعلم اللغوية:

بحكم أن المكتسبات اللغوية لدى المتعلم تكتسب ولا يولد بها، وإنما الشيء الذي يولد معه هو الاستعداد الفطري لتعلمها. ومن هنا، كفايات المعلم تزيد من رصيد المتعلم اللغوي نظرا لشغفه وحبّه للتعلم، وهذه الزيادة في الرصيد اللغوي تكون عن طريق الاقتداء بمعلمه في تعاطي القراءة الواسعة وتلقي ألفاظ اللغة، وهو ما يساعده على تلقي حصيلة لغوية لا بأس بها تمكنه من التعامل باللغة تعاملًا إيجابيًا خاليًا من الأخطاء.

6 - خاتمة:

وصفوة القول في الأخير، أنَّ المعلم القدوة هو المسهل والوسيط بين المعرفة والتلاميذ، والموجه والمرشد لهم ومصدرهم الوحيد للمعرفة. وعليه، وجب أن يتوفر على الكفايات التدريسية، ويطلع على ما استجد من العلوم والمعارف؛ ذلك أن لهذه المعارف الأثر البالغ في تغير طريقة تعامله مع التلاميذ بما يستجيب لمستجدات العصر. حيث أضحت مهمة المعلم في وقتنا الحالي مزيجا بين مهام المربي والمرشد والقائد والمدير والناقد والمعدل لسلوكات المتعلم والضابط لبيئة التعلم. وكل ما عرضناه حتى الآن، يجمع الكفايات المنشودة في المعلم، والتي يجب أن تكون محل اهتمام من قبل وزارة التربية عن طريق تنظيم ورشات ودورات تكوينية للمعلمين لتمثل كل ما ظهر من مستجدات في مهنة المعلم، وعلى هذا النحو فقط يمكن أن يتبوأ المعلم المكانة التي يستحقها. وفي الأخير نقدم مجموعة من التوصيات والاقتراحات:

- عقد ندوات ومؤتمرات وأيام دراسية بغرض تبين تأثير كفايات المعلم التدريسية على مهارات المتعلم المعرفية والسلوكية، والبحث عن الأسباب والعوامل التي تقلل من التفاعل بين المعلم والمتعلم داخل القسم وخارجه.

- تفعيل دور الإدارة المدرسية عن طريق تنمية الشعور بالانتماء للمدرسة لكل من المعلم والمتعلم، وتوفير بيئة مدرسية تساعد على أداء دورهما على أحسن وجه، وذلك من خلال توفير الأثاث المدرسي والإنارة والتهوية وتوزيع التلاميذ في الأقسام توزيعاً معقولاً وتوفير المساحات لممارسة مختلف الأنشطة الثقافية والرياضية، وهذا لأنَّ الحياة المدرسية الجزائرية الآن - إن لم تكن مبالغين في ذلك- يسيطر عليها التدريس القائم على حشو ذاكرة التلميذ بجملته من المعارف والحفظ الببغائي لها، وهو ما يغرس في نفسية المعلم والمتعلم معا الضيق والقلق والنفور، مع ضرورة تحسين العلاقة بين المعلم والمتعلم وبين أعضاء الإدارة المدرسية.

- تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمعلم التي تعتبر أحد أهم الأسباب التي تقلل من دافعيته للتدريس؛ وذلك لأنَّ المعلم هو فرد اجتماعي ومدني بطبعه يتأثر بالظروف التي حوله ويؤثر فيها، وربط أسرة التلميذ بالمدرسة لمعرفة الظروف الأسرية التي يعيشها كل متعلم، والتي لا محالة تؤثر على شخصيته، وهذه المعرفة تساعد المعلم كثيرا في توجيه سلوكاته وتصرفاته وتعديلها حسب ظروف كل متعلم على حدى.

- الإعداد المهني للمعلم قبل وأثناء الخدمة ليكون ملما ببيكولوجية الطفل والمراهق والنظريات التربوية والطرائق الحديثة التي تساعد على ممارسة مهمته على أحسن وجه. ولأنَّ المعلم هو العمود الفقري للعملية التعليمية- التعلمية، وعلى مقدار صلاحه يكون صلاح التعليم ككل، فإنَّ التكوين البيداغوجي الجيد للمعلم يمكن أن يزيد من تفاعل المعلم مع المتعلمين عن طريق فهم المعلم لنفسية المتعلمين وحاجاتهم ورغباتهم، وتحسين العلاقة بينه وبينهم.

- الحرص كل الحرص على وضع مناهج ومقررات تعليمية ترتبط ببيئة المتعلم الاجتماعية وتستجيب لاحتياجاته وحاجاته وخصائصه العمرية بما يزيد من تفاعله مع المعلم أثناء الدرس ويحقق تطلعاته ومبتغاه.

- الاعتماد على معايير علمية وموضوعية دقيقة في انتقاء الأساتذة أثناء مسابقات التوظيف، والتي يجب أن تستند أساسا إلى كفايات خلقية ومعرفية وجسمية ونفسية، على خلاف ما هو معتمد عليه الآن أساسا في معيار انتقاء الأساتذة في مسابقات التوظيف على أساس الخبرة في الميدان والشهادة المكتسبة.

الهوامش:

- ¹ محمد عبد الباقي أحمد، المعلم والوسائل التعليمية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2009، ص14
- ² أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتب العربية، (د، ط)، (د، ت)، الجزء الأول، ص69
- ³ Halte , J-F , La didactique du français , Paris, PUF, 1992 , p121 – 122 – 123
- ⁴ عبد الرحمان الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، العدد:4، الجزائر، 1973، ص44
- ⁵ علي آيت أوشان، اللسانيات والديداكتيك، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص22 - 23
- ⁶ محمد عبد الرحيم عدس، صعوبات التعلم، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2000، ص35
- ⁷ يوم: 05 جانفي 2019 <http://www.almeshkat.net/vb/showthread.php?t=45146>
- ⁸ حورية رزقي، كفايات المعلم بين الرسالة والمهنة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد حيضر، بسكرة، الجزائر، دت، ص08 -
- ⁹ ينظر: محمد الطيب العلوي، التربية والإدارة بالمدارس الجزائرية، دار البعث، الجزائر، ط1، دت، ص61
- ¹⁰ مصطفى عبد السميع، سهر محمد حوالة، إعداد المعلم تنميته وتدريبه، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص164
- ¹¹ حورية رزقي، كفايات المعلم بين الرسالة والمهنة، ص4 - 5
- ¹² همار فنيحة، الثانويات ودورها في تعليم اللغات الأجنبية للتلميذ، مذكرة ما جستير، جامعة الجزائر، 2007 - 2008، ص15
- ¹³ يوم: 05 جانفي 2019 www.alarab.com/wkl?p=452452
- ¹⁴ محمد الراجي، بيداغوجيا الكفايات، طوب بريس، الرباط، المغرب، ط2، 2013، ص132
- ¹⁵ جميل حمداوي، كفايات المدرس الناجح، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط1، 2017، ص16
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص17
- ¹⁷ أنطوان صياح، تعليمية اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص41
- ¹⁸ بيداغوجيا الكفايات، محمد الراجي، ص133
- ¹⁹ جميل حمداوي كفايات المدرس الناجح، ص27
- ²⁰ ينظر: المرجع نفسه، ص28
- ²¹ ينظر: أنطوان صياح، تعليمية اللغة العربية، ص43
- ²² ينظر: جميل حمداوي، كفايات المدرس الناجح، ص34
- ²³ ينظر: أنطوان صياح، تعليمية اللغة العربية، ص47
- ²⁴ محمد الراجي بيداغوجيا الكفايات، ص134
- ²⁵ عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص613
- ²⁶ محمد الراجي، بيداغوجيا الكفايات، ص133
- ²⁷ عابد بوهادي، تحليل الفعل الديداكتيكي، مجلة الدراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد:02، الجزائر، 2012 المجلد 39، ص372